مواقع جديدة للقصة العراقية القصيرة

من إقليم الجنون .. إلى ضوء الظهيرة الساخنة !

بقلم انور الغسّاني

يوم اصدرنا ، انا والزميلين زهدي الداودي وصالح كاظم ، البيان القصصي عن وضع القصة العراقية القصيرة المعاصرة ، كان وقوع سوء الفهم امرامتوقعا ولست مطلعا بما فيه الكفاية على المناقشات التي جرت ولا تزال تجري في اجهزة الاعلام بالعراق حول البيان القصصي ، غير انني علمت ان فئة من الزملاء القصاصين من الذين شاركوا في المناقشات بمقهى مجيد بالباب الشرقي ببغداد حيثا ولدت تجربة الستينات وحيث تحولت اليوم الى عبث انتحاري ، غضبوا لانني انا الذي كنت متحمسا لتجربة الستينات اخطىء اليوم في البيان هذه التجربة . ولو علموا بانني انا الذي وضعت نص البيان لزاد غضبهم . وظني انهم يعتقدون ـ وهذا تصور خاطىء بالطبع ـ باننا ندبر لهم احبولة ستالينية ، واننا نطالبهم بكتابة القصص في التحريك السياسي المحض او عن البذار والشعر والحصاد واننا لا نعترف بان تجربة الستينات كانت لها جوانب ايجابية ايضا .

---

* هذه هي الدراسة الثانية التي اكتبها عن وضع القصة العراقية القصيرة على ضوء الافكار والتقييمات التي جاءت في البيان القصصي (راجع الاداب ١٠ ايلول ١٩٧١) وكانت الدراسة الاولى بعنوان « دراسة في امراض القصة العراقية القصيرة ، من اجل اعادة علاقة القصة بالواقع » (راجع مجلة الاقلام العدد الخامس ١٩٧١) . اما الحافز المباشر لكتابة الدراسة الحالية فكان رسالة بعث بها اليّ صديق قاص وشاعر ورسام تمنعني اعتبارات معينة عن الكشف عن اسمه ، علق فيها على البيان بقوله عن نفسه بانه فوضوي وان موضوعية الطبقات والتناقض الواردة في البيان لا يمكن ان تفرحه قط . وقد رأيت ان بين هذا الرأي وآراء ومواقف تلك الفئة من القصاص الذي لا يزالون متشبثين بتجربة الستينات رغم انها انتهت عمليا والذي اقدم تحليلا لوضعهم الفكري في هذه الدراسة قرابة فكرية كاملة على الرغم من ان الصديق المذكور لا يعترض عمليا بانتمائه لهذا الفريق ويضع وضعه تحت افق خاص . وقد وجدت ان الرد على كلا الجانبين لا يقتضي اقناعهم بجدوى التصور الطبقي لمشكلة القصة بقدر ما يقتضي تحليل الوضع الفكري الذي بلغوه والذي يمنعهم من القبول بأي تصور طبقي بمشكلة هذا الوضع الذي بدا بفوضوية ـ وجودية وانتهى الى يأس جنوني .

من نفل القول ان نؤكد هنا عن ان التحليل الذي قدمه البيان القصصي ، هو التحليل الوحيد الممكن للمشكلة او اضفاء الصفات الطيبة على افكار البيان . ومن الاجدى ان نعمد الى تشريح الوضع الفكري لهذه الفئة من القصاصين إلتي لا تستطيع اليوم القبول بأي ربط بين مشكلة القصة العراقية وبين الوضع الطبقي والتطور السياسي في العراق خلال السنوات العشر الماضية وبين بروز ظاهرة الفوضى والاتجاه المتطرف نحو الكتابة الشكلية في القصة العراقية . وبين اهداف التطور الاجتماعي للعراق وبين مهمات القصة لنحاول في البداية الاجابة على السؤال التالي :

كيف ولماذا ظهر الاتجاه الفوضوي الذاتي الشكلي لدى هذه الفئة من كتاب القصة العراقية في منتصف الستينات ولماذا تشبهت بتيار « ادب الطليعة » او « الادب الجديد » او (الرواية الجديدة) او (ضد الرواية) .. الى اخر هذه التسميات ؟

انتبه هؤلاء القصاصون الذين بداوا بالكتابة منذ بدايةالستينات او قبلها بقليل تدريجيا ، ونظروا حولهم في الواقع فوجدوه ، وببساطة ، سيئا الى حد الرعب وتيقنوا ان الحل هو في تغييره ذهبوا الى المقهى ، التقوا بالاخرين الذين يكتبون وناقشوا بحدة ، في السياسة والادب وتحرير المرأة ومصير الكون ، وتصوروامستقبلا افضل للبؤساء . دخلوا في الاضراب وشاركوا في المظاهرات وكتبوا القصص « الواقعية » عن الجياع من ابناء الجيران او عن « كفاح » المتسولين اليومي ثم عادوا فجاة وفي ظل الاضطرابات واليأس السياسيين الى الشارع مرة اخرى وقد تساقطت عنهم كل التزاماتهم ولم يبق لديهم غير الدراسة في الجامعة او التدريس او العمل في الصحافة او في وظيفة مكتبة (واغلب قصاصينا من فئة البرجوازية الصغيرة) او التسكع في المقهى بلا عمل ، اي ممارسات محكوم عليها مقدما من قبلهم ـ بقلة الشأن . وطبعا ، كتابة القصة فهذا فعل لا يمكن ان يمنعه احد او تفصله عنهم صحيفةاعمال تقبع في دائرة الشرطة اعواما ولا تزال ويظل حبرها بؤرة ارهاب ساكنة موجهة ضد القاص (واغلب قصاصينا من اصحاب السوابق بهذا المعنى ، دخلوا السجون وخرجوا منها ثم دخلوها ثم خرجوا منها ، طلبوا للتحقيق في نشاطهم السياسي ووضعت صور بعضهم مع صور النشالين والهاربين من وجه العدالة والسراق على لوحة في ممر مركز شرطة) .

كل شيء انتهى الى لا شيء ، وبدأت الرحلة في طقس الجدب.

لنضع هذا الحديث ضمن العلاقات التاريخية ولنذكر بعض الوقائع :

ابتداء من عام ١٩٦٤ حدث في بغداد تجمع عفوي لشباب من القصاصين والشعراء . وعلى الرغم من ان الكتابة والسخط على كل شيء كانا القضيتين المشتركتين بينهم فان المجموعة لم تكن منسجمة ، على الاقل في البداية . فقد كان بين هؤلاء قوميون وشيوعيون وبعثيون وبارتيون سابقون ، بعضهم ترك العمل السياسي، وبعضهم لا يزال يمارسه . كانت هناك دائما عناصر جديدة تظهر بوجهها فجاة في المقهى وكانها خارجة من اعماق العراق البعيدة وتنضم الى هذه المجموعة الادبية ، وعناصر تنسحب منها بعد نقاشات ومشاورات ادبية وتقرر ، ظاهريا ، سلوك طريق منفصل ولكنها لا تلبث ان تعود معترفة بضعفها وعدم قدرتها على الانقطاع عن هذا الجو . كان بين المجموعة عناصر كان ينظر اليها بحذر وريبة ويشك في انها تعمل لصالح جهاز الامن ولمراقبة عناصر المجموعة مع ان القوم لم يكن لديهم نشاط سياسي بالمعنى المفهوم لهذا النشاط . اما العاطلون عن العمل من بين عناصر المجموعة فكانوا يلتجئون الى سوق الهرج يبيعون سترة قديمة او ساعة يدوية ليطعموا انفسهم ويشتروا السكاير او يعمدون الى سرقة الكتب الجديدة من المكتبات وبيعها الى باعة الكتب القديمة على ارصفة الباب الشرقي . كان في المجموعة اناس يمتلكون افضل العادات واخرون اسواها واغرب السلوكات واكثرها طبيعية ، منهم الطيب الساذج والدعي الذي يفتعل المعارك الادبية بين الادباء الشباب والشيوخ مع صفحات الجرائد ، والمنافق والمتعجرف والطفل الكبير المتوله بالمديح . كان بينهم من يتصنع الجدية والكآبة ويصم الاخرين بالعتة ، واخرون يضعون على الوجه لون التبتل السياسي والاخلاقية المصطنعة ، واخرون لواطيون او بحاثون عن العاهرات متعصبون ، او عشاق يرتعدون لدى مرأى الحبيبة فرقا فكانها التجسيد لعقدة الخجل من الجنس . كان بعضهم يكتب كثيرا وبعضهم يكتب قليلا ، واخرون لا يكتبون قط .

استيقظوا فوجدوا ثورة تموز قد اضاعتها الانقلابات وان الثقة المطلقة الساذجة غير المبررة بالشعب ، كمصطلح عام ، لا تقوم على اساس . وها هو الشعب قد ضجر ويريد الراحة . وانتهت بالنسبة لهم الاحزاب والقوى السياسية . حتى دجلة الذي احبوه بطفولة لا توجد الا لدى جيل مثقفين ساذجين حالمين اكثر من اللازم في بلد نام ، وجدوه يجري غير آبه بهم ، هم الجالسين ساعات النهار ، في مقهى البلدية وساعات المساء في مقهى مجيد ، المتفذين بقطعة سميط واستكان شاي والمقترضين عشرة فلوس لشراء سيكارة ، وثمان يدخنونها بالتناوب والمتحدثين في شؤون هذا العالم .

ان فئة القصاصين التي عنيتها بكلامي في البداية كانت ضمن هذه المجموعة ، فئة من ضحايا عملية التطور الاجتماعي العتيق الهلك . كان العراق يمتد فيها ، طاقة هائلة من الحب والتطلع ، وينظر بعيون افرادها ويزرع فيهم ، هو العراق ، اقاليم اليقظة العامة . كان العراق يبحث عن وجهه فيهم ، ولكنهم لم يكونوا اقوياء بما فيه الكفاية لتحمل هذا التفاعل . كان وعيهم السياسي والادبي بائسا . وما كانوا مثقفين كما يجب . وربما كانت الادعاءات لدى الغالبية منهم ، وقود الحركة الوحيد . كان ظنهم في احسن الاحوال ، حسنا الى حد التطرف فراوا ان العداء والخطورة انما مصدرهما الخارج ، الواقع الموضوعي فقط وما علموا انهما في الاصل ، او ايضا كامنا في انفسهم هم وانهم ، وبسبب نرجسيتهم، قد اصبحوا اعداء لانفسهم . كانوا يريدون ان يصبحوا ادباء ، وقد اصفوا هذه الرغبة بتواضع كاذب دفعهم الى انكار انهم يمنحون الادب قيمة وصرحوا بان الكتابة ليست الا صماما للامان ولتاسيس التوازن في الشخصية . وعاشوا بذلك في كذبة صنعوها بانفسهم ثم صدقوها ولم يكن بالامكان ان يستمر هذا الموقف طويلا ، فها هم يجدون انفسهم في الواقع رغما عنهم ، وهو يتغير ، واكتشفوا ان روح الصبر روح كاذب ، وانه لن يستطيع ان يؤبد نفسه وهم لا يستطيعون ان يؤبدوا انفسهم فيه وانه ليس كل من صبر ظفر . واختفت لدى البعض منهم نزعة المسيحية لتحل مكانها نزعة عدوانية متحركة . وذلك كله لانهم اختاروا هذا العالم دون ان يدروا ماذا يعني هذا الاختيار ، وبداوا يفكرون في جولة جديدة من التجارب ولكن لم يكن قد بقي ، في رأيهم ، ما يمكن تجربته . اذن فليجربوا اللاتجربة . أي ان يجلسوا منتظرين ، يقضمون شفاههم ويتركون اذهانهم لتطوف بين متحف الاسلحة والباب الشرقي وملاعق مطعم نزار مستحضرة وجوه نساء ورجال لا يعرفونهم ولتعاني قتلا في الواقع لم يحدث بعد ، ثم يجري قذف كل حصيلة التطواف فتبدا بذلك قصة سهلة كحالة الشبع ، ولكنها محض تجربة شكلية . اما المضمون ففير ضروري . ثم من اين يأتي هذا المضمون ؟ من البيئة ، وماذا في هذه البيئة ؟ هذا الشعب ، وهذا الشعب كان مرفوضا من قبلهم . اذن لا بد من الحديث عن « شعب » اخر مسكنه ذواتهم ، هذه الذوات العجيبة الموزعة على الف جهة ، بل لعل هذا الشعب كان صورة متكررة للذات نفسها . وباختصار : « شعب » داخلي لا يقاتل ويترك للقاص فرصة ان يعذب نفسه بنفسه بهدوء ، ثم يطلق صرخة العذاب في قصة . وهكذا بدات « تجربة الستينات » في أسوأ صورها (لا ينطبق هذا التعميم بالطبع على كل نتاج الستينات) .

لنقترب اكثر من هذه المسالة :

لقد استيقظت هذه الفئة ، كما قلت ، آنفا ، فوجدت نفسها مطروحة خارج العملية الثورية بكافة اجنحتها وميادينها ولهذا السبب او ذاك . وحسن انها لم تتقمص « الثوبة » الثورية بل وعادت ، وقد اصبحت ذكريات الرعب قديمة ، الى الترويج للثورة ، في الوقت نفسه الذي بدا انتاجها القصصي يتجه فيه بوضوح نحو الشكلية .

ماذا كان تصور هذه الفئة للثورة الجديدة ؟ كان تصورها في اساسه فوضويا ، فجنحت بذلك جنوحا ايديولوجيا مثاليا ، هو من ابرز خصائص البرجوازية الصغيرة اذا بئست ، وبدا بذلك الخطأ الاول . كانت تريد « ثورة عامة » ضد كل تنظيم سياسي او سلطة او هيئة اجتماعية او جهازقمعي . ولكن فوضويتها من «طرازجديد». اذ تبنت هذه الفئة اسلوب الارهاب نظريا فقط ، وبينما كان الفوضويون الاوائل مثل باكونين يرون في الارهاب « السبيل الوحيد لخلاص الطبقة العاملة وتحطيم الراسمالية » ، اكتفت هذه الفئة بتحسيس « مذاق » الاسلوب الارهابي بلسان لا يمل الحديث عنه في المقهى ، وفي المقهى فقط . ولم تدع الى اقامة نظام مشاعية ـ فوضوية على غرار نموذج وليم كودوين (١٧٥٦ ـ ١٨٣٦) المؤسس الاول للحركة الفوضوية والمفكر الراديكالي الانكليزي ، او الى اقامة مستعمرات اشتراكية كالتي ينادي بها معاصروها الهيبز في الولايات المتحدة ، حيث تزول الصناعة وتعود الزراعة الحرفة الاولى لترجع الى الارض رائحة الجو الديني وحيث تكون ممارسة الحب المهمة الثانية ، فهي فئة فوضويين من الشرق وفي بلد متاخر حيث لا يحب احد سماع الكلام التالي عن الصناعة المفتقدة اصلا ، وحيث الحديث عن الحب والجنس يثير الاشمئزاز ان لم يكن الغضب . أي ان بالامكان ان يغدو المرء فوضويا ، بعد اجراء التعديلات اللازمة . واذا كان كودوين يدعو الى الاعتماد على العقل

لتحرير البشرية من الرق الديني والسياسي فان هذا « برنامج » يحمل بعض الخطورة رغم انه خيالي وقد يجلب المتاعب ، وهـــذه الفئة لا يمكن ان تاخذ به حتى وان كان «زميل في المهنة » مثـــل الشاعر شيللي قد تحمس له في عهده ، وهي بعد هذا لا تميل الى طريقة « برودون » الذي كان يروج افكارا عامة عن العدالة ويدعـو الى منح الشعب « قروضا بلا فائدة » وتاسيس « بنك شعبـــي » وتوزيع وسائل الانتاج بعدالة (دون ان يقترح الوسيلة الكفيلـة بتحقيق ذلك) . وذلك لان هذه الفئة فقدت الرغبة فـي العمـل والحركة ، ولانها ، وهنا ظاهرة ايجابية يقتضي تسجيلها ، لا تريد ان تصبح « بوقا للبرجوازية الصغيرة العراقية » كبرودون الذي قال عنه كارل ماركس بانه « بوق البرجوازية الصغيرة الفرنسية » .

وفي هذه الحالة الراهنة تقع هذه الفئة ضمن التشخيص الذي قدمه لينين في الموضوعة الثالثة من موضوعاته عن الفوضوية والاشتراكية التي كتبها عام ١٩٠١ حيث يقول « الفوضوية نتاج اليأس . انها عقلية مثقفين او عناصر من البروليتارية الرثة ، وليس من البروليتاريا التي حادت عن الطريق » .

وقد رافق الفكر الوجودي (كيركغارد ، هايدكر ، ياسبـــرز ، سارتر) وفلسفة النمرد (كامو بالدرجة الرئيسية) هذا « التطور » نحو الفوضوية او سبقاه بقليل . وكان سارتر محور هذا المؤثر الاخر لقد سحر هذه الفئة باسلوبه المتقن العاطفي ، رغم عقلانيته الظاهرية، وطرح في « الغثيان » وفي دراساته التحليلية العديدة نماذج وشخصيات تقول : تشبهوا بنا ، فنحن نمتلك الصدق ، افلسنا من صنع يد استاذ ماهر ؟! ان رصده وتعليله لظواهر وضع الانسان ومن ثم الاديب فـي المجتمع البرجوازي (وهذه هي مهارته الرئيسية ، لنتذكر فقط ، كمقال ، دراستيه عن فلوبير وبودلير) لم يكشفا لهذه الفئة عن طاقته العقلية العالية وحسب وانما دفعاها الى اعتبار هذا الرصد رصـدا لمواقعها وازمتها هي ، ولم تنتبه الى فارق الزمان والمكـــان والى ان سارتر يستنتج استنتاجات اوربية ثم يعممها يمينا ويسارا مثلما يجب. ثم ان سارتر حين يضع تعريفا لمجمل القذارة في المجتمع البرجوازي واذ يماحك ويجادل في أصغر التفاصيل (ربما يفوق توماس فان الذي لم يمنعه حبه لبيئته البرجوازية من ان يصورها وهي تنهار) فانـه لا يتساءل عن أصل البشر وكيف ولماذا وجد . وقد توجهت هذه الفئـــة بسبب ذلك الى داخلها ، الى الذات لا الى النظر ، وفي الوقت نفسه، الى موقعها على الارض . وقد حدث في البداية ان ازورت هذه الفئة عن تعاليم سارتر . فقد تأملت مثلا في واقعة الاكل يوميا : ياكل المرء ويمضغ ويبتلع الغذاء وبذلك يواصل الجسد نبضـــه وحركتـــه . واكتشفت ان هذا الطعام قد اعده اناس كثيرون وان البداية كانت في الحقل حيث زرعت الحنطة وفي المعمل حيث صنعت الملعقة وان حادث الاكل اعتراف ورضا بكل هذا : انا اوافق على انني مخلوق اجتماعي ، فها انذا آكل طعامكم ولا استطيع الاستغناء عنه رغم ان الحياة معكـم مفرقة ، ثم يبدو انني مرتبط فعلا بالارض وها انذا ادرك نفسي : الجسد والوعي ، انا فعلا مادة هذه الارض التي اصبحت قادرة على التفكير . ولكن اين يكمن اذن الخطأ ؟ ولكن سارتر ملحاح ، وها هو يجد سؤالا هاما يحير القوم فيظهر لهم ليواجههم بالعدم ، ويظل يفعل ذلك كلما شعر بان القوم يتحولون في مجمل اقتناعاتهم الفلسفية عن الاقتنـــاع بالمثالية . ويأخذهم في النهاية الى ارض فضاء ويطالبهم باختيار فعل الطيران بلا اجنحة . وقد ظل الفكر الوجودي فيما بعد ، وحتى اليوم ، ورغم اختلاف الاشكال التي ظهر بها اهم مؤثر يحدد المواقف الاساسيه لهذه الفئة من انقصاصين .

وعلى اية حال ، اصبح الانتماء الفوضوي الوجودي هذا بعد وقت قصير غير جذاب ، ومرفوضا في شوارع بغداد . ولاحظت هذه الفئة وجود رياح اخرى ذات قرابة وجدانية بها ، واكتشفت ان بالامكان تحقيق « الثورة العامة » بطريقة اكثر جاذبية ودون ان تضطر الـــى الدخول في تنظيم . وحملت « توصلاتها الفكرية » وبدات تبحث ، فاذا بها تعثر على « اليسار الجديد » واذا باخفاق ملحوظ بين وضعهـــا وهذا الوضع الجديد ، وخاصة في المنطقات الاساسية ، وبدات بذلك بتجربة جديدة اخرى .

كيف جرى هذا ؟

ان تحول هذه الفئة الى خط « اليسار الجديد » ، او « المغامر » كما يسميه البعض ليس مسالة عرافية المنشأ والاصل ، ومن الخطـــا اعتبارها امتدادا لخط غيفاري او صيني أو تروتسكي حتى ولو ادعى هذا اليسار ذلك. ان هذه الفئة من انقصاصين تظل أبنة باره للفلسفة الوجودية التي وضعت النطفة في عقول كانت قد عاشت تجربة الفوضوية مقدما فاكتسب بذلك « اللابرنامج » الفوضوي حليفا وجوديا يستند في الاساس على مقولات « لا يسار ولا يمين و « الاختيار الحر » للفعـــل و «الحياة مسافة ما بين عدم وعدم» ثم جاء الاضطراب السياسي ليهيء المناخ اللازم لنمو الخط « اليساري الجديد » ، وتبعته هزيمة حزيران ثم جاءت فلسفة هربرت ماركوز الى الشرق العربي منبوعه بانباء تصاعد الكفاح الطلابي في اوربا الغربية (خاصة في عامي ٦٨/٦٧) ـ والتي اراد البعض وبسوء نية اعتبارها حصيلة لفلسفة ماركوز ـ والحديث عن كومونة جديدة في باريس وتاسيس الاممية الرابعه فيما بعد (جماعة بوسادس التروتسكية التي تدعو في الوقت الحاضر الى اسقاط مـــا تسميه بالبيروقراطية السوفيتية والصينية والرأسمالية) .

وقد وضعت فئة القصاصين نفسها في موضع المستلم السلبي لكل هذم التيارات التي فئت باخر امكانيه للاعتراف بالفعل (المقصـود بالفعل الصيغة الفلسفية العامة لهذا المفهوم وليس كمضاد للملكـــة العاطفة) ، وقد منحت هذه الفئة صكا بالشرعية لهذه التيارات وبـلا مناقشة . واذا كان مصدر « اليقين الفجائي الواضح » الاوربي المسحة لدى هذه التيارات هو الاثر السلبي الذي تركه التطور التكنيكي الـذي ادى وفي ظل علاقات الانتاج الرأسمالية اي مسخ الانسان وحوله الـى مسمار في جهاز هائل يطحن كل شيء ليل نهار ويحوله الى بضاعه ،فقد جرى بين هذا « اليقين » من قبل هذه الفئة تلقائيا بسبب انها لم تر في الواقع غير ذلك الجانب الذي ينهار ويتساقط ، وهو ليس كل شيء بالطبع . ان افراد هذه الفئة لا يعتقدون بانهم موجودون . وقد يقولون بانهم لا يدرون اذا كانوا موجودين ام لا ، وانهم يرجحون انهم غيـــر موجودين . وكانوا يدركون ان بامكانهم نقض هذه الحالة بالاتيـــان بالافعال لكي يستعيدوا الاحساس بوجودهم المادي الا انهم شاؤوا تجميد هذه البقية الباقية من التفكير الجدلي الموروث من ايام « السذاجة » الاولى ، فهم قد ارتفعوا على مستوى هذه الانشغالات . قال سارتر ، من بين كثيرين قالوا ذلك ايضا ، بان الانسان مغترب في العالم ، وهم آمنوا بانهم مغتربون في العراق . وجاء ماركوز بعد ذلك بنظريته عـن الانسان ذي البعد الواحد منتقيا بذلك ظاهرة واحدة من ظواهر الوضع البشري في الرأسمالية .

واذا كان الرعب الذري ـ من بين اسباب كثيرة اخرى ـ تدفـع القوم في اوربا الرأسمالية وفي الولايات المتحدة الاميركية الى المخدرات والفوضى الجنسية (التي تسمى اليوم تأدبا بالثورة الجنسية) فان الجماعة في بغداد وجدت مرادفها المحلي لذلك في الرعب السياسي ، وقد اتجهت فئة القصاصين في بعض الحالات الى الحشيشة لكي تنسى وتكتب الشعر « الجيد » مجمدة الدخان في كلمات ولكن مشكلة الجنس لم تحل ، ففي العراق لا يزال الجنس طلسما من اللحم الطري خلف خرقة سوداء ، وبذلك اصبح العذاب اشد من عذاب القوم في اوربـا الرأسمالية حيث المرأة ـ وفي اغلب الحالات وليس كلها ـ بضاعة يمكن

ان تقتنى وتستهلك في الفراش .

وبدلا من ان تتحول هذه الفئة الى شاهد على هذا الزمن وهذه المرحلة التي تعيشها ، رضيت بان تحمل أسما لها وتتحول الى عصبة متسولين شرسين ، ولكن فقط ، في انجـــاه ذواتهم ، امـــا الى الخارج فقد تقمصوا هيئة الضحايا ، وحيث انهم قد تبنوا خرافـــة « اليسار الجديد » لهذا رأيناهم محرضين نشطين . ولكن تحريضهم كان موجها باستمرار الى الاخرين لا الى انفسهم ، اذ ادعوا لانفسهم حقا وامتيازات مفادها ان القوم يجب ان يتركوهم في هدوء .

لقد انتهى كل شيء ، ولكن ما زالت هناك القصة . هنا فردوسهم الذي يجب ان يظل مغلقا على فذارة العالم . والان يحاولون ان يكتبوا ما لم يكتبه احد حتى الان . وهذا طموح رائع . ولكنهم يريـــدون ان يكتبوا بلغة جديدة . بمعنى انهم يريدون التعامل مع اللغة العربية وفق تصور عصري جديد لمهمتها وخصائصها . وهذا طموح رائع . بيد انهم يريدون كلمات جديدة وعلاقات لغوية جديدة . وهنا تظهر مشكلة معينة فها هم يقفون امام اللغة التي استلموها موقفا مرتابا وحجتهم انها قد « تلوثت » بالايديولوجيات . وهم محقون في اعتقادهم اذا فهمنا هـذا الاعتقاد على انه الاشارة الى ان تطور اللغة عبر عصور طبقية ادى الى خلق قطاعات في اللغة ، بمعنى ان لكل طبقة لغة خاصة تستخدمها ، او بالاحرى مفردات وتعابير خاصة بها ، تقع ضمن اللغة العامة . وهذه الحقيقة ليست سيئة الى الحد الذي تصوره هؤلاء وهي لا تقف حائلا دون تطوير اللغة . ولكن هؤلاء يرفضون الانخراط الطبقي حتى ولو على مستوى الكلمات . فاذا بنا نجدهم يتحمسون لخلق « لغتهم ومفرداتهم » الخاصة . ولكنهم اكتشفوا ان خلق « لغة جديدة » كالتي يتصورونها امر غير ممكن وهم يريدون ان يقراوا من قبل الاخرين ـ رغم صراخهم بعدم اهمية ذلك ـ ولهذا اضطروا الى عقد مساومة . فاخذوا الكلمات وحاولوا نزع « قشرتها » كما تنزع قشرة الرز وتناول لبها ثم تكويـــن علاقات جديدة بين هذه الكلمات « النظيفة » « الحيادية » في انتمائها الطبقي . ان يحدث كل هذا فامر منطقي ، او لم يدعوا اصلا الـــى العفوية والبراءة في الطرح الفني الذي يجب ان يستهدف ـ فـــي رأيهم ـ تحقيق حالة الانتشاء ، ثم الذهول ان امكن ؟

والان لماذا يجب الا تكون القصة الوسط الجيد لتحقيق كل هذا ؟ وبالفعل قد جعلوها كذلك : فها هي القصة قد اصبحت وسيلة لتحقيق حالة الانتشاء وغيرت امكان السفر الوحيد خارج حدود الذات بالنسبة لهم ، هم الذين قيدتهم ، بالاضافة الى عوامل الاغتراب والضغـط الخارجي ، مواقفهم الخاطئة سواء أكانت سياسية ام اجتماعية ، وعلى الكلمة الان ان تساوي او تصبح معادلا للوجود الحقيقي نفسه لا اشارة عليه وتفسيرا له . وبدات بذلك عملية « تذويب » القصة في الواقع عن طريق رفع الحدود بينهما ، وتذكرني هذه العملية بدعوة ميلشيور شيدلر الذي دعا في مقاله « سبعة موضوعات لمسرح جديد لجمهـــور اليافعين » (مجلة مسرح اليوم الالمانية الغربية العدد الثامن ١٩٦٩) الى رفع الحدود بين الواقع والمسرح وتقديم عروض مسرحية للاطفال تتضمن مشاهد من حياتهم الجنسية . وبذلك تحقق التمرد الكلـــي لفئـــة القصاصين ببغداد على العالم الكاذب وتم تاسيس التمرد كمهمة اولى للفن الذي اصبح نقيضا لنفسه (لنتذكر فقط هنا اتجاهات « ضـــد الرواية » او « الرواية الجديدة » او « الرواية الجديدة الجديدة ») لقد اعلن نيتشه ان الاله قد مات وجاء سارتر ليقول بانه لم يبـــق الا العدم ، والا معنى للوجود الانساني الا بالتمرد على العالم . التمرد ، هذا جيد خاصة اذا اصبح بداية لفعل الثورة . ان القوم « اليساريين الجدد » لا يتحدثون دائما بلغو فارغ وها هم قد امسكوا ببعض الحقائق. اوافق على ذلك . ولكن هل تساءل احد : ماذا بعد التمرد ؟ كلا ، ان مثل هذا التساؤل او البحث عن جواب عليه لا يدخل ضمن برنامـــج « اليسار الجديد » او فلسفة الوجود . ان بلدنا فعلا ، ايها السادة ، بلد متاخر حتى في استلام « الكشوفات » الاجتماعية والادبية ، وفي تمثلها ومن ثم الانصراف عنها . فبينما كانت هذه الفئة من القصاصين لدينا لا تزال تستكمل اطلاعها على « الكشوفات الجديدة » كانت اوروبا الراسمالية والولايات المتحدة الاميركية التي استلمنا منهما قضيـــة « اليسار الجديد » قد بدأنا بالانصراف عن «اليسار الجديد» والتمهيد لفذلكة جديدة .

كيف وقع ذلك ؟

بلغ « اليسار الجديد » قمة نموه (وننطلق هنا مـــن الشروط الذاتية فقط) في عام ١٩٦٨ عندما حدثت التظاهرات والاعتصامـــات الطلابية الكبيرة في فرنسا وانكلترة والمانيا الغربية والولايات المتحدة الاميركية ودول اوربية غربية اخرى . ومثلما كان الطلبة المحرك الاول الذي انتج « اليسار الجديد » فقد كان من المنطقي ان ما يصيب الحركة الطلابية من نجاح او فشل سيؤثر مباشرة على حركة « اليسار الجديد » وبما ان الحركة الطلابية لم تؤمن يومئذ بضرورة تنظيم نفسها (كـــان رأيها ان التنظيم يؤكد البيروقراطية والمكتبية) او التحالف مع الطبقة العاملة ومنظماتها السياسية لهذا كان يكفي ان تزيد الاجهزة القمعية ضغطها او تنتظر حلول العطلة الصيفية ورحيل الطلبة من العواصـــم لتعتقل وتحاكم من تريد ، حتى يتحول المد الى جزر وبالتالي تحول مد حركة « اليسار الجديد » الى جزر (هناك اسباب اخرى لا مجـــال لذكرها هنا) .

والان اين هم قادة الحركة الطلابية : رودي دوتشكه رحل بعـد محاولة اغتياله في برلين الغربية الى الدانمارك واصبح استاذا للفلسفة في احدى الجامعات .

دانييل كوهن ـ بندت ، الذي لقب يومئذ بـ « داني الاحمر » ترك حركته واخذ يعمل لحساب هوليوود .

طارق علي الباكستاني الاصيل والمقيم في انكلترة ، انضـم الى الاممية الرابعة وبدأ يدعو اخيرا الى تنظيم الحركة الطلابية (راجـــع المقابلة معه في الثقافة العربية ٧١ العدد ٤ ـ ٥)

ويبدو ان القوم استيقظوا الان وبدأوا يشعرون بضرورة التنظيم بعد ان رفضوه في البداية . ولكن ما هو التنظيم الذي يقصدونه ؟ ترى هل هو نموذج انكلترة حيث يوجد عدد كبير من المنظمات الطلابية من بينها ٣٦ منظمة ماوية فقط ؟ ام هل ستكون الاممية الرابعة التروتسكية محور التنظيم الجديد ؟ ام ان الحل هو فيما يقترحه الكاتب اليساري الايطالي ادريانو سوفري الذي يدعو الى « طليعة » تقـــوم بالادارة السياسية للحركة الطلابية مع ملاحظة انها ليست (هي « الحزب » او الادارة الثورية العامة ، فمهمتها ان تكون على اتصال بكفاح الجماهير وتنظيمها لا أن تتولى التخطيط الثوري) .

(مجلة مواقف العدد ١٥ ، ١٩٧١) اي كلام مضطرب هو هذا! ان الاتصال بكفاح الجماهير وتنظيمها يفترض تصعيد الكفاح والتنظيم الى مستوى اعلى ، ويلي ذلك بالضرورة سواء اردت انا او لم يرد سوفري، وضع تخطيط ثوري اشمل والاشراف على تنفيذه ، والا كان المقصود ان ننظم كفاح الجماهير دون تحديد استراتيجية لهذا الكفاح والسبيـــل للوصول اليها ، اي ان نترك للجماهير ان تكافح بعفوية بحيث تتمزق هذه الكفاحات في اقل من عام) .

باختصار : الحركة الطلابية و « اليسار الجديد » يعيشان اليوم جزرا وتمزقا شديدين ، وحتى محاولات التنظيم الجديدة سيقتلها تكرار الخطأ القديم ، فهي لا تزال تصر ولو ضمنيا على ان الحركة الطلابيـــة وحدها المؤهلة لقيادة كفاح الجماهير لا الطبقة العاملة المتحالفة مـــع الفلاحين والحركة الطلابية والفئات الاخرى ..

ان رجل « اليسار الجديد » هو في الاصل ، رجل ذاتي يعيش غيابا يمنعه من تقييم الواقع بشكل موضوعي ، انه حالم . ويقينا ان هناك فرقا بين الحلم بتكوين « تجمعات » بشرية حرة على نحو « مثالي » وبين بنادق الرأسمالية الاحتكارية المستعدة دوما لاطلاق النار .

اما في العراق فقد وجدت فئة القصاصين نفسها فجأة في نفس الموضع الذي بدأت منه . وها هي الثورة التي دعت اليها عن نموذج « اليسار الجديد » قد حولتها الى فئة مؤلفة من انصاف رجال ، واضاعت عمرا ومشاريع حتى المقاومة الفلسطينية التي رأت فيها هذه الفئة الامل في ان يتحقق عن طريقها وبسرعة تصورها الخاص هي عن الثورة لم تحقق ما ارادت . وما اكثر ما يتحدث افراد هذه الفئة اليوم من ان الثورة قد استنزفتهم (ذهب بعضهم عندما بدأ موسم هجرة المثقفين من العراق في اعقاب هزيمة حزيران الى الاردن ولبنان وانضموا الى المنظمات الفدائية . بعضهم قاتل ببطولة وبعضهم انشغل بخلق القطاعات والتجمعات والانشقاقات في هذه المنظمات التي كانت تعاني اصلا من انقساماتها) . اما الموقف العام للفئة من المقاومة الفلسطينية فقد كان ولا يزال انتهازيا قاتلا ، فبينما تعتبر نفسها وصيةعلى كلما هو نظيف وثوري في العالم ، فانها ما ان ترى هذا الشيء النظيف والثوري ينهار في بعضه او يضطرب حتى تسارع الى الاخلاد الى الهدوء والسكينة مكتفية بتعليق لئيم يقول : كنا نتوقع ذلك . ان العالم كله كذبة كبرى ونفاق !

واليوم ، والمقاومة تمر بمرحلة مراجعة الاخطاء والانتقاد الذاتي وتحديد خط سياسي جديد في سبيل الوصول الى تأسيس جبهة موحدة لها بعد الضربة الرجعية في الاردن ، تعبر الفئة عن استيائها وترجع اسباب الانتكاسة فقط الى وجود فئات انانية بيروقراطية في قيادات بعض منظمات المقاومة (مع انها لا تسقط بالطبع دور المؤامرة الملكية) أي : تفسير سلوكي اخلاقي وحسب . انها ترتكب الخطأ الاول مرة ثانية. فهي في البداية لم تفهم ان سبب الانتكاسة او بالاحرى السبب الذي مكن السلطة الاردنية من تنفيذ مؤامرتها هو ان الاغلبية في قيادة المقاومة وبالذات في اللجنة المركزية سلكت سلوكا يمينيا ومساوما او انهزاميا او ساذجا ولم تعتبر لتحليل الوضع الطبقي في المنطقة العربية اية قيمة (بالاضافة الى الموقف الخاطىء عن تقسيم حكم السلطة الاردنية والموقف منه) . ان الفئة بنفاد صبرها البرجوازي الصغير تسرع اليوم لتطلق الاحكام وتقرر : لا فائدة « كل شيء » خراب . مثلما اسرعت بالامس وبنفاد الصبر نفسه لتطالب المقاومة بان تنسف كل ما هو رجعي على الارض العربية ودون ان تكلف نفسها مهمة التنبيه الى مواضع الضعف الذاتية في المقاومة ، وبالتحديد ان المقاومة لم تكن لها رؤية ثورية واضحة وعلمية وكانت وهي التي تمارس حرب العصابات ذات تنظيم مشتت ومكشوف بل انها اتخذت لها قواعد مكشوفة ثابتة مخالفة بذلك قاعدة هامة في حرب العصابات هي قاعدة التنقل الحر والسرية ، وان مواقف قيادة المقاومة كانت في الغالب برجوازية تضع الخصم والصديق على مستوى واحد ، كاشفة بذلك عن فهمها الطبقي الخاطىء لمعركتها وللقوى المشاركة فيها وخاصة لوضع المجتمع الاردني والحركة الوطنية فيه ومسألة تحديد الموقف من النظام الاردني اي ان فهمها للثورة الفلسطينية كان فهما دينيا اخلاقيا ضيقا ، كان فهما مثاليا للثورة التي هي علم .

اذن عاد افراد هذه الفئة من القصاصين الى الموضع الذي بدأوا منه ، عادوا في حال ينطبق عليها قول الشاعر العراقي الشعبي عبود الكرخي في احدى قصائده : « مخطوف ، مرعوب ارجعت ـ عقلي انسلب ايمانه . » وباتوا يعتقدون بان الثورة انما تتمثل فقط في الفاصل بين انفجارها وبين انتصارها ، اي تلك اللحظة في الثورة التي يسميها البرتومورافيا « اللحظة الفنية » فما قبلها يتطلب التزاما وما بعدها عملية سرقة للثورة يقوم بها الانتهازيون ، وفهم مورافيا هذا للثورة ، فهم رجعي واختزال متعسف لها في لحظة « فيزيائية » عندما تصل الفرقعة اعلى درجات شدتها وانكار لحقيقة ان الثورة في «اللحظة» المذكورة انما هي تواصل نوعي جديد لما قبلها ومقدمة لمرحلة تأتي بعدها .

هنا قد يبرز السؤال التالي :

ان هذه الفئة من القصاصين التي وصلت في تجاربها ووعيها الى هذه المرحلة لا بد وان تكون قد اكتسبت يقظة نسبية ، واذا كان اليأس قد دفعها في السابق الى الاغراق في الذاتية ، فالام سينتهي اليأس هذه المرة ؟ وربما كان هناك عناصر في هذه الفئة تمتلك الان بعضا من الوضوح في رؤياها نحو مهمتها الاجتماعية، ترى هل تعاني هذه العناصر من الخجل من موقفها السابق وتعتقد الجراة الادبيه لتصرح بانها اصبحت اكثر وعيا ، وعندئذ قد يكون الحل ، وببساطة ، تشجيعها على تحريك ألسنتها او الكلام عنها بالنيابة ؟

اظن ان هذا تصور يبسط المشكلة كثيرا ، اكثر من اللازم . هناك وضوح وليد لدى البعض ولكنه ما زال في بدايته . ولو عدنا الى بداية حديثنا لوجدنا وفي ذهننا التحليل الذي قدمناه على الصفحات الماضية، ان الاقرار بوجود الطبقات والصراع الطبقي والالتزام الواعي بذلك هو المسلك الوحيد لازالة اخر بثور الموقف الفوضوي ـ الوجودي و « اليساري الجديد » الذي اثبت عجزه عن استيعاب ظواهر المجتمع العراقي واتخاذ الموقف الصحيح منها .

لا اريد ان اقدم هنا قائمة « بفوائد » الايمان بوجود الطبقات والصراع الطبقي . ولكني اريد اضافة ملاحظة اخرى الى معضلة القاص البرجوازي الصغير والمواقع التي تقطع عليه الطريق نحو الوصول الى وعي طبقي يجعله يلتزم بقضايا الجماهير . لنتناول بعض التفاصيل .

هناك ميل معروف (ولعله اشبه بغرام سري مكبوت) لدى البرجوازيين الصغار ، وخاصة الادباء منهم ، الى تمثل نماذج ادبية خارجية تصبح بالنسبة له قدوات يحتذى سبيلها (لنتذكر هنا ايضا القوة الاجتماعية للنماذج والشخصيات التي طرحها سارتر في اعماله القصصية والمسرحية والتحليلية) هذه النماذج التي استلمناها خلال عملية « التبادل الثقافي » مع الفكر البرجوازي الغربي بدأت ترسخ وجودها في منطقة الفراغ الثقافي لدينا وفي لا شعور هؤلاء القصاصين. هذه الفئة . ان هذه الفئة تعاني من عقدة المغامر الصغير المتعالي الذي يبحث عن المجد في اقرب زاوية . فارتور راميو وشارل بودلير قدوتان لديها . فراميو عاش حياة غريبة وسلك كمغامر (وينسى القوم موقفه الايجابي من كومونة باريس) وبودلير ؟! أوليس هو بطل التمرد على المجتمع الذي قاد « تمرده » من شوارع ومقاهي باريس . وكان ارنست همنغواي قدوتها في زمن سابق ، اولم يغامر في افريقيا وايطاليا واسبانيا وروى كل ذلك بالوان انطباعية وغلف كل ذلك بقطعة جلد قديم مثبتة عليها اسماء انواع النبيذ ؟ ثم انه صور جيل الضياع في العشرينات !. اما فريدريش نيتشه : حسنا كان فكره فاشيا . هذا توافق عليه الفئة . ولكن الم يكن يدعو الى الامساك بالسوط عند الذهاب الى النساء وتنقيح البشرية من عناصرها الضعيفة ؟

لقد انتهت احلام الفئة في ان تصير شيئا يشابه هذه القدوات الى هباء كانوا يحلمون بالثورة وبالاسفار البعيدة وبالاشباع الجنسي وبشهرة ادبية تتحقق في الخامسة والعشرين وبرحلة حول العالم في خمسة اعوام .. آه لقد انتهى كل شيء ، وها انت يا اوربا القديمة تدورين قارة ملصوقة على جلدة الارض حاملة معك مقاهيك وانهياراتك ونساءك الجائعات جنسيا ، ولكن لا سبيل للوصول اليك . لقد انتهى كل شيء ، حتى محاولة التقرب الى الطبقة العاملة وحلفائها التي

حاولتها للفئة انتهت الى الفشل ، وها هي الفئة معتكفة الان تراقب العالم ينهار امامها ، هذا العالم الذي تزداد فيه هزائمها كل يوم . وها هي اسطورة « اليسار الجديد » قد انتهت الى قناعة ثانية . الا امل للجماهير في الخروج من المازق بدون منطلق طبقي يحدد مسالة تنظيم الجماهير واشكال التحالف بين القوى السياسية التي يهمها انجاز اهداف مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ؟

ان فئة القصاصين تواجه الان ضرورة اتخاذ موقف جديد. ولكنها تشعر بحرج اشد مما كانت تشعر به يوم بدأت الرحلة في طقس الجدب فهي ، ذاتيا ، فقدت كثيرا من استعداداتها ولا تستطيع ان تنظر الى الخطوة التالية دون شكوك كثيرة . والغريب ان هذه الفئة ليست اساسا ضد اتخاذ موقف جديد ، فهي مضطرة لذلك ، لانها يجب ان تفعل شيئا . ولكن المفارقة هذه المرة هي انها تضع مقدما شروطا انتهازية رغم انها وقبل ان تنزع رداء الالتزام عنها (سابقا) لم تضع اي شرط للدخول في مرحلة الضياع ، اما الان فانها تريد ضمانة من انها لن تصاب بخيبة امل سياسية اذا ما عادت و « التزمت » بقضية الجماهير . ثم شرط اخر : ان تظل اي الفئة ، محتفظة باداتها الفنية كما هي رغم انها لا تعرف اذا كانت هذه الاداة جيدة ام لا ، وهي لم تتخذ رأي القراء في ذلك لانها ظلت طوال السنوات الماضية تكتب القصص وتنشرها لا لجماهير القراء وانما لنفسها هي . وهي لا تزال تشكك في ان الكفاح الطبقي سيؤدي الى حل نهائي للمشكلة البشرية . هذه سذاجة . ان الكفاح الطبقي سبيل الى مجتمع بلا طبقات ولكن من المثالية التفكير بان كل شيء سينتهي وستزول كل المشاكل عن تأسيس المجتمع اللاطبقي . ان هذه الفئة تتساءل مثلما يفعل سارتر في مقاله (المادية والثورة) عما اذا كان بالامكان الوقوف بالمادية ، عما اذا كانت ستظل « سارية المفعول » كفلسفة في حالة قيام المجتمع اللاطبقي . وحجته في ذلك ان المادية فكر الطبقة العاملة وفي حالة زوال هذه الطبقة في المجتمع اللاطبقي فان المادية ستزول ايضا . وهذا خطا .

فالفلسفة المادية ليست اصلا الا صياغة للقوانين في الطبيعة وهذه القوانين لا تتبدل وواضح ان اللعبة السارترية هذه تهدف الى التشكيك في الفكر المادي وذلك عن طريق وضعه على مستوى واحد مع الفكر المثالي للبرجوازية ، فاذا كان الفكر البرجوازي سيزول بزوال الطبقة البرجوازية ومن خلال استلام الطبقة العاملة للسلطة فان من المنطقي ان يزول فكر الطبقة العاملة بعد زوالها كطبقة . وهذا الحساب المبسط المستند على المنطق الشكلي مردود كما ذكرت . فالمسالة ليست ان الفكر المادي سيبقى لانه افضل من غيره ولكن لانه الحقيقة نفسها . وانا لا أتوقع ان يسلم سارتر بذلك لانه لا يرى الديالكتيك الا في العقل وليس في الواقع الموضوعي كما هو الصحيح وهو لا يعتقد بوجود الديالكتيك في الطبيعة ، خارج الانسان وبمعزل عنه . واذا كان سارتر لا يسلم بوجود الديالكتيك في الطبيعة (مع انه يسلم بوجود التناقض في المجتمع والتاريخ وهذا فهم ناقص) فمن المفهوم انه لن يسلم بديالكتيك اجتماعي مبني في الاساس على ديالكتيك الطبيعة .

لنترك هذا الاسترسال ولنعد الى قصاصينا مرة ثانية :

ان هؤلاء يتقدمون اليوم وباستيحاء ظاهري ليحددوا اختيارهم الجديد ، ولا ينسون بالطبع اصطحاب موكب شروطهم وعلاماتهم ونقاطهم انهم رجال يبعثون على الرثاء ، فقد فقدوا الشجاعة والجرأة على المغامرة والتجربة وها هم قد بدأوا يفقدون عنصر المبادرة . ويخطىء هؤلاء اذا اعتقدوا ان بامكانهم مواصلة تمثيل دور اطفال الادب العراقي المدللين الذين « تقتتل » جماهير القراء فيما بينها من اجل التوصل الى معرفة سر انزعاجهم . ان الحركة الجماهيرية تواصل سيرها والواقع مستمر في حركته ، وهم ، هم انفسهم وحدهم ، سيظلون متأخرين وسيجدون انفسهم في عزلة مدمرة تدفعهم بالتالي الى الجنون او الانتحار .

انها لظاهرة ايجابية يجب ان تسجل هنا ، ان هؤلاء قد تخلصوا بعض الشيء من معاناتهم الحادة من فرض العظمة الكاذبة التي كانوا يعانون منها سابقا . بيد ان تواضعهم الجديد يتجه في طريق معاكس خاطىء طريق العودة الى المراهقة وكاني بهم يقولون : آه ايها الحمقى ، انكم لن تفهموا ابدا . ثم يتناولون اقلامهم ويبدأون بالكتابة مكملين كلامهم . ها انت ايتها النفس المعذبة قد رجعت غير راضية وغير مرضية فحدثينا ، حدثينا عما كان .

ان هؤلاء القصاصين يجب ان يمدوا ايديهم ويضعوها على جسد العراق ليدركوا ان هذا الجسد ليس ميتا وانهم هم ايضا احياء وموجودون وليسوا كتلة هلام لا تعريف لها ، ولكي يبدأ طريق العودة . انهم شهود على رحلة ، فلماذا لا يكتبون شهاداتهم ؟ وفي النهاية ، ليس هناك الا اختياران : ان يصبحوا شهودا او يصبحوا مجانين او منتحرين . انهم يجب ان يساهموا في نقل القصة العراقية القصيرة من اقليم الجنون حيث هم متواجدون الى ضوء الظهيرة الساخنة العراقية لكي تعود للقصة علاقتها مع الواقع الموضوعي .

لايبزغ

انور الغساني

الثورة الجنسية

تأليف جورج بالوشي هورفات

ترجمة الدكتورة سامية أسعد

يعالج هذا الكتاب احدى المشكلات الهامة التي يواجهها عصرنا اذ يتحدث عن ثورة حقيقية في الاخلاق ، اي عن احلال نظام جديد محل النظام القديم البالي ، فيما يخص العلاقة بين الجنسين قبل الزواج ومدى اباحتها ، وفي اثناء الزواج وما يترتب عليه من اجهاض وطلاق وانجاب الخ .. وتتلخص النتائج التي انتهى اليها المؤلف في ان العالم شهد ثورتين جنسيتين نفلتاه من التزمت الى الاعتدال تارة والى الاباحية والانحلال تارة اخرى ، وفي ان المراة في العالم اجمع بدأت تتحول من كائن طالما احتل مرتبة ادنى من الرجل الى كائن حر له مكانته الاجتماعية ، بل له مكانة تفوق مكانة الرجل احيانا ، كما في اميركا حيث المراة متسلطة ..

وقد عالج المؤلف موضوعه بطرق مختلفة ، ففي السويد مثلا اجرى تحقيقا مع الطلاب ، وفي افريقيا طاف « بريد القلوب » وفي فرنسا رجع الى تحقيقات المجلات النسائية المتخصصة التي يقارنها برأي الدارسين مثل اندريه موروا وسيمون دو بوفوار ، وفي ريو دي جينيرو شرح بسيكولوجية الذكر في اميركا اللاتينية ، وفي اسبانيا عبّر عن دهشته لنيران الجحيم التي ما تزال تسود روح المراة وحسها . وتحمل له المانيا والولايات المتحدة واليابان وايطاليا والعالم الاسلامي حصادا من الحكايات ذات المغزى ووقائع طريفة من الحياة .

والخلاصة ان هذا الكتاب الذي لا يعالج موضوع الجنس من الناحية البيولوجية يعتبر اول محاولة شاملة لدراسته من الناحية الاجتماعية على الصعيد العالمي ، باسلوب مشوق جذاب .. صدر حديثا عن دار الآداب الثمن ٥٠٠ ق.ل